الأمم المتحدة

A/58/629

# الجمعية العامة

Distr.: General
16 December 2003
Arabic
Original: Spanish

**الجمعية العامة**

الدورة الثامنة والخمسون

البند ٦٠ من جدول الأعمال

**متابعة نتائج مؤتمر قمة الألفية**

## رسالة مؤرخة ١٢ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٣ موجهة إلى الأمين العام من الممثل الدائم لهندوراس لدى الأمم المتحدة

أتشرف بأن أرفق طيه البيان الذي ألقاه نيافة الكردينال أوسكار أندريس رودريغيس مارادياغا أمام الكونغرس الوطني لهندوراس يوم ٨ كانون الأول/ديسمبر من هذا العام، وهو يتضمن عرضا موجها إلى البشرية حول التحديات التي يطرحها الفقر أمام تنميتنا وطريقة التصدي لها، وذلك في إطار أهداف الألفية التي وضعتها الأمم المتحدة.

وسأكون ممتنا لو تفضلتم بتعميم هذا البيان في إطار البند ٦٠ من جدول أعمال الدورة الثامنة والخمسين للجمعية العامة، المعنون ”متابعة نتائج مؤتمر قمة الألفية“.

(توقيع) مانويل أكوستا بونيا
السفير الممثل الدائم

060104 060104 03-66012 (A)

**لا تنسوا الفقراء**

أود، في هذه المناسبة، أن أعرض عليكم بعض الأفكار التي تخالجني والتي تكتسي أهمية خاصة في هذا المحفل الذي كثيرا ما تناقش فيه مشاكل بلدنا العزيز هندوراس.

إن الموضوع الذي أود طرحه هو من أقدم المواضيع التي تتكرر في تاريخ البشرية، فهو يختفي ثم يبرز فجأة في ثوب جديد ليشكل مرة أخرى تحديا أمامنا.

ومن حيث الإيمان، لدي قناعة بأنني خلال خمس وعشرين سنة ما برحت أقوم بدور ''جسر''، فأنا ''مطران'' يصل دوما بين ضفتين؛ ويرفض أن يعتبر البشرية عالمين منفصلين لا مجال للربط بينهما. فأنا أرى في المذهب الاجتماعي للكنيسة سبيلا يسلكه التاريخ، وأعتقد أنني كافحت وتجشمت المصاعب ليتسنى لجميع سكان هندوراس أن يتعايشوا إخوانا أطفالا لرب وأب واحد.

فعندما أنشأ الحواريون أولى المجتمعات المسيحية كانت توصيتهم للأساقفة: ''لا تنسوا الفقراء''.

ونحن نعلم جيدا أن قرابة ٦٠ في المائة من سكان العالم فقراء وأن عددا هائلا من الناس يهلكون جوعا، بل وعطشا؛ وأن آلاف وملايين الأشخاص يموتون من جراء انعدام اللقاحات التي لا يزيد ثمنها على ١٠ سنتات من الدولار؛ وأن عددا كبيرا من الناس في كافة أنحاء العالم بدون استثناء أصبحوا يسكنون الكهوف؛ وأن الافتقار إلى المسكن والأمن الاجتماعي فظيع؛ وأن ملايين كثيرة من البشر لا تملك أن تكون لها أحلام وأن تخطط لمشاريع لأنها لا تحصل على احتياجات المعيشة الأساسية إلا بمشقة كبيرة. والذين لهم حظ أكبر من العلم ويضعون لغيرهم مقياسا للفقر يؤكدون أن الفقير هو الذي يقل دخله عن دولار واحد في اليوم.

وأنا أعتقد أننا لو واجه بعضنا البعض سنتفق على أن ''زمن السذاجة قد ولى'' وكفانا مغالطة لأنفسنا. فأنا أخدم ربا أعطانا صيغة أدق بكثير لمعرفة المشكلة؛ إن الأمر ليس مجرد معادلة إحصائية.

دعونا نصغي جيدا إلى قوله ''لأنني كنت جائعا فأطعموني وكنت ظمئا فسقوني وكنت غريبا فآووني وكنت عاريا فكسوني وكنت مريضا فعادوني وكنت سجينا فزاروني''.

إن هذا القول يلخص جميع أشكال الفقر الممكنة ويبين الأعمال التي يجب القيام بها إزاءها. وما من عمل منها ''تنظيري أو بلاغي''. إن ربي، ربنا جميعا، جعل الأمر بسيطا ومباشرا ولا يدع مجالا لخيارات بديلة: فإما أن نقر بالمسألة أو لا نقر بها.

والسيد المسيح هو صاحب أكبر ثورة في التاريخ، فلا أحد يتكلم عن فترة ما ''قبل القيصر'' أو بعده، أو ''قبل نابُليون'' أو بعده، أو ''قبل ماركس'' أو بعده، وإنما نقول جميعا ''قبل ميلاد المسيح'' أو ''بعد ميلاد المسيح'' فالسيد المسيح غيَّر لنا النقاط المرجعية، التي هي سمات الهوية.

وعبارات ''قبل ميلاد المسيح وبعد ميلاد المسيح'' هي مفتاح القضية.

فما الذي أضافه المسيح؟ لقد أضاف الكثير! ولكن هذا الصباح، اسمحوا لي أن أركز على عنصرين هما أولا، حب السلام؛ وثانيا، حب الغير.

إن هذين العنصرين مترابطان؛ فلا يوجد حب السلام بدون حب الغير؛ والعكس صحيح؛ وهما عماد التضامن.

إن الأمم المتحدة تنشر سنويا ''تقرير التنمية البشرية'' الذي هو بمثابة دراسة واعية لفعالية النفوذ في العالم وتقييم لمدى تحقق هدف ''إضفاء الطابع الإنساني''. وهذا المنشور يصدر منذ عدة عقود وخلال هذه المدة ما برح المرء يستنتج وجود ''خلل ما'' ذلك أن أمورنا دائما ''أسوأ''.

**الفجوة بين الأغنياء والفقراء**

في بلداننا هناك ''أقلية لا ينقصها شيء'' في حين أن ''كثيرين ينقصهم كل شيء''. ولا تنقصنا أي علامة من ''علامات المجد''. ففي بلدان العالم ''الفقيرة'' لا تكاد تمر ١٠ أيام حتى يحصل ''الموسرون'' على آخر اختراع تكنولوجي. وهذا يعني أن العالم الثالث هو المكان الذي تزدهر فيه سوق أحدث الابتكارات بأقصى سرعة. فهناك يسعى البعض إلى إثبات مركزهم. إنها قصة الغني المتنعم ... ! ''كان هناك رجل غني يرتدي أفخر الثياب ويولم وليمة عظيمة كل يوم. وكان يقف على بابه رجل فقير اسمه لعازر ممتلئ قروحا ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني. وكانت الكلاب تلحس قروحه''.

لنقرأ الكلمات المحورية في هذه القصة قراءة متمعنة ونتفهمها بوصفنا رجال ونساء القرن الحادي والعشرين.

فعدد الذين يجلسون إلى مائدة المتنعم (يمكن أن تطلقوا عليه أي اسم يروق لكم) يتناقص يوما بعد يوم، إن هناك قلة قليلة من الناس ما انفكت تأكل كمية أكبر وأفضل. وقد برزت إلى الوجود فكرة ''نوعية الحياة'' وسيكون من الصعب جدا فهم ''ثقافة التبذير''. ولم يعد تُقبل إلا الأشياء المتميزة، التي تسمى عموما ''ذات الجودة العالية'' أما غير ذلك فيُطرح جانبا.

إن لعازر يلتقط ''الفُتات'' ولكن علينا أن نفهم أن عدد الشبيهين به قد ازداد بشكل مذهل وأن المنتظرين كثيرون ولكن ''الفتات لا يكفي الجميع''.

وأنا أذكر من كان يؤكد صلفا أن حل المشاكل الاجتماعية هو ''إلقاء مزيد من الفتات بانتظام'' إلى المنتظرين قرب المائدة.

أما أنا وأمثالي فنعتقد أن من الأنسب جلب الكراسي والمصاطب والمقاعد لزيادة عدد ندماء الذين يجلسون إلى المائدة ومنحهم مكانا في المجتمع.

وفكرة وجود مزيد من الناس جالسين بشكل لائق يشاركون في التنمية فكرة مدهشة جدا.

وفي هذه اللحظة أذكر بامتنان الكلاب والقطط.

لعلكم لاحظتم أنها لا تلاقي، مهما كان نوعها أو لونها أو جنسها، أي مشكلة للاعتراف ببنات جنسها. أما نحن، البشر المساكين، فإن لدينا هذه المشكلة ونتألم منها ونكابد للتغلب عليها. ولعلكم تذكرون أن أرسطو ذاته كان يلاقي صعوبات وكان يتحدث عن العبيد بوصفهم ''حيوانات تشبهنا كثيرا''. لقد حدث هذا قبل ميلاد المسيح، بيد أن المشكلة عادت إلى الظهور في ذلك العصر الزاهر، عصر الفلسفة العظيمة، بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر، واضطررنا إلى إنشاء المجامع والمجالس الدينية لكي نقرر ما إذا كان الهنود أو السود كائنات بشرية.

وبعد كل هذا عندما قررنا أنهم بشر، وشعرنا بالفخر لما نتمتع به ذكاء كانت نتيجته ميثاق حقوق الإنسان، نسينا من جديد، ولا تزال قائمة إلى الآن أوجه التمييز على أساس العرق أو لون البشرة أو نوع الجنس، والأسوأ من ذلك، على أساس الدخل.

ولا داعي أن نستغرب لحدوث نفس الشيء بالنسبة للمرأة التي اضطرت إلى كسب مكانها في المجتمع عن طريق الكفاح المرير.

واليوم برزت المشكلة بسمات أخرى؛ فسكان أوروبا وأمريكا الشمالية يتساءلون عما إذا كان المهاجر بشرا مثلهم. وحتى الآن نحن نشكل بالنسبة للأوروبيين ''أهل الجنوب'' أو ''الخارجون عن المجموعة''.

وما من شك في أننا نطرح السؤال ذاته بخصوص ''المستبعد'' الذي يشبهنا كثيرا، ولكن....!

لقد عاد كره الأجانب: ولكنه لا يتعلق بلون البشرة وإنما بلون الفقر، بالحقيقة المرة المتمثلة في الانتظار قرب المائدة وليس ''الجلوس إلى مائدة الأب''.

إن القديس بولس قال ''لا فرق بين إغريقي ويهودي أو بين عبد وحر أو بين رجل وامرأة لأنهم جميع موجودون في المسيح''. وأنا أعتقد أنه سيستشيط غضبا لو رأى اليوم أن هذا الأمر غير مؤكد برغم مرور حقبة طويلة من الثقافة المسيحية.

وربما يتساءل المرء: وما ذا عن ''الحرب الباردة''؟ يقول أهل الخبرة إنها قد انتهت. ويقول لنا المحللون: ''لقد فتح المجال الآن أمام النمو، وأصبحنا متحدين؛ فليس هناك ماركسيون أو رأسماليون وإنما هناك بشر لديهم شعور بالكرامة والتفاؤل''.

وقد تبين أن سبيل ''الأمن'' بات واضحا وأن التنمية هي وسيلة القضاء على الفقر.

وارتُئي أن الفقر هو العدو اللدود للديمقراطية وأنه لن يتسنى القضاء عليه بفتح المجال أمام ''المشاركة'' وجعل المرء ''طرفا'' و ''قيامه بدور'' و ''حصوله على نصيب''.

وكم ترددت الكلمات الرنانة والخطب البلاغية والخطط ثم الخطط ولكن لم تتحقق إنجازات تُذكر.

وكما يقول السلف، إن الأفعال أبلغ من الأقوال، وأنا أتساءل بصدق لماذا ''تبدأ كل حكومة عهدا جديدا'' ولا تُكمل ما قد شُرع فيه؟ لماذا نحن دائما نستهل شيئا ما؟

لقد انتهت الحرب الإيديولوجية ولكننا نواجه حربا أشد خطورة هي حرب الذين ليس لهم شيء يخسرونه، وأصبح الفقر أمرا حتميا مقدرا علينا. وسيكون لكل منا نصيبه من الذنب إذا لم نفعل شيئا في الوقت المناسب.

إن الرب يقول ''اقتسم رغيفك مع الجائع'' وهذا القول ليس كلاما جميلا فحسب وإنما هو الآن ضرورة مُلحة حقا.

**النهضة السياسية**

يتساءل الإنسان إلى أين المسير، وعندما ينتهي من التساؤل يخلص إلى النظر في النهضة السياسية؛ إذ أنها أحد السبل المؤدية إلى الحل؛ ''فالسياسة هي أداة تسيير النفوذ من أجل تحقيق المصلحة العامة'' وهذه المصلحة العامة، عند مستواها الأساسي المتمثل في ضمان البقاء، لا مجال فيها للتنظير.

والفقير هو الذي لا تُلبى احتياجاته الأساسية وهي الغذاء والملبس والصحة والسكن والتدريب والعمالة.

فاستعرضوا الحالة وسيتبين لكم الفقراء والذين يهددهم الفقر يوميا. ويقف على خط الفقر جميع المعرضين لفقدان عملهم والشباب الذين يتضح لهم فجأة أنهم يدرسون بدون جدوى إذ لا توجد فرص عمل تلبي تطلعاتهم.

والسياسة تشير إلى هذا وتبينه، إذا تأملتم البرامج الانتخابية لجميع المتخصصين بها، مع أن التعريف الأول للسياسة هو أنها ''فن التعايش بشكل إنساني''.

وهكذا يستخلص المرء أن السياسة فاشلة لأنها تعلم ما عليها أن تفعله ولا تقوم بذلك وبالتالي إذا أردنا المساءلة لا يمكن أن نقول ''سامحوهم لأنهم لا يدركون ما يفعلون''. إن هؤلاء يدركون ما يفعلون ويدركون ما هم عنه متغافلون. إنهم المتسببون في ''ديْن'' يختلف عن الديْن ''الخارجي'' من حيث أنه لا يمكن الإعفاء منه. إن ''الديْن الاجتماعي يصعد إلى السماء'' ويظل مستحقا.

**إذن، ما هو سبيل الخلاص؟**

عند هذه النقطة من التأمل يخطر بالبال حتما السؤال التالي: أي سبيل نسلك؟ إن الذين يرقبون حال العالم اليوم يعلمون أننا على حافة الهاوية، وأن الحرب على العراق هي حرب واحدة تتناولها الأنباء ولكن توجد في الوقت الحاضر ٣٥ حربا جارية في العالم وتتسبب في خسائر هائلة في الأرواح.

إن على العالم، علينا جميعا، أن نقف ونتأمل ''خريطة طريقنا'' وأن نفعل شيئا لمجابهة تحدي الفقر.

ومن الصعب قول هذا، ولكن الموارد التي نخصصها بسهولة للميزانيات العسكرية إذا استُخدمت لغرض وحيد هو كفالة ألا يموت الناس جوعا وعطشا فإنها سوف تفي بالحاجة وتزيد. فما ينقصنا هو ''الإرادة السياسية'' اللازمة لنفهم أنه لا يمكن السعي إلى تحقيق الأمن على حساب جوع الآخرين وبؤسهم. ومن المؤلم أن نرى الذين يلقبون أنفسهم بأنهم ''ديمقراطيون'' يفترضون أن الذي لم ينل من الديمقراطية إلا العوز سيتحفز للدفاع عنها بحماس.

والإيديولوجيا ليست هي التي تفرق بيننا؛ ففي ''أمريكا قارتُنا'' نلاحظ عودة ما كان سائدا من تركيز على الإرادة واتخاذ القرار لكي يتوافر الغذاء للناس.

وليس من الكرامة أن يشكو الإنسان من الجوع والظمأ في الألفية الثالثة! إن البقاء حق للجميع يجب أن تُقره السياسة بكل ما تملكه من قوة.

**بشرية جائعة**

لقد تقهقرنا! ففي القرن الحادي والعشرين، الألفية الثالثة، لا يزال الفقر منتشرا.

فهذه الصومال وبيافرا وألبانيا وإثيوبيا.... إن الصور والأشرطة الوثائقية مذهلة. وفي موزامبيق يلتقي الجوع والإيدز. والحصيلة حتما مريعة؛ وفي كل بلد هناك أدلة صامتة على هذه الجريمة الصامتة: الجوع.

وأذكر عندما كان المنشغلون إزاء حالة الآخرين يتحدثون عادة عن الشمال والجنوب، كنا نقول: ''حذار! فإن لكل شمال جنوبه ولكل جنوب شماله''. فالبلدان الغنية لها مناطق شاسعة ينتشر فيها الفقر، وتوجد في البلدان الفقيرة مناطق على قدر من الثراء لا يمكن تخيله.

ولا بد من اتخاذ إجراء ما إذا أريد البدء في بناء السلام الدائم الذي هو من الناحية العملية يقام بالقدرة على تلبية احتياجات البقاء، والتعايش يعني تبادل المنافع حتى يصبح من المؤكد ألا أحد سيموت عوزا.

لقد انتهى عهد التعايش السلمي حيث كان السلوك الاجتماعي يقضي بعدم إيذاء الآخرين، هذا ''السلوك الاجتماعي الشرير'' الذي يجعلني أدع غيري يموت عوزا دون أن أساعده على البقاء خشية إزعاجه. لقد وصلنا إلى عهد يُسمى عهد ''التضامن'' حيث ليس من واجبنا عدم إيذاء الغير فحسب وإنما أيضا علينا أن نرعاه، أن نتبناه ونكون مسؤولين عن مصيره.

إن ألبير كامو يؤكد أنه، برغم إلحاده وعدم إيمانه بالمسيح والمسيحية، فإن قراءة الإنجيل علمته أخلاقيات لا يمكن التخلي عنها وهي أن المرء لا يمكن أن يكون مرتاح البال وأحد أخوته في محنة.

والديانة المسيحية العادية السائدة هي ''مسيحية الحرب الباردة''، حيث لم نُفسح المجال بعدُ ''لحب الغير''. و ''ذنوب التغافل'' هي في المسيحية أخطر بكثير من ذنوب القيام بالفعل.

وأساس المسيحية هو الالتزام إزاء الغير. ولهذا السبب من المهم التعجيل بالتفكر في الإنجيل من منظور جديد. فكيف يمكن لي أن أنعم بالعيش وهناك فقير جائع يؤمن نفس إيماني بالرب، هذا الإيمان الذي من منطلقه يُنتظر مني أن أصلي باسم الرب لكي يتكاثر الخبز والسمك ويتحول الماء إلى نبيذ؟ فما هو عدد قدور التضامن التي يجب أن تُنصب لمجابهة

الجوع اليومي؟ وعدد المآوى التي يجب أن تُفتح؟ وعدد الملابس التي يجب توفيرها، إذا أردنا أن نكون مؤمنين حقا بأن كل فقير صُور في صورة الرب.

**المستبعد**

لا وقت لدينا للتوقف؛ إن التأخر يسبب الموت. وإني لتعود بي الذاكرة إلى الوراء حيث في مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية المعقود في كوبنهاغن في عام ١٩٩٥ تم التسليم بأن الفقر والبطالة والاستبعاد الاجتماعي عوامل ذات صلة وثيقة بمواضيع السلام، وأن من الضروري أن يوجد على سبيل الاستعجال التزام عالمي بتقليص التفاوتات الهائلة الكامنة وراء تقلب الأوضاع الاجتماعية والمواجهات العرقية والتدهور البيئي.

وأنتم هنا في كونغرس الجمهورية تعرفون أشخاصا يدركون هذه المسائل ويفهمونها. ويعلمون أنه إلى جانب الوعي فإن ''الإرادة السياسية'' و ''القرار السياسي'' يجب أن يتوافرا بشكل دائم ومستمر وأن تدعمهما في كل لحظة الرغبة الصادقة في خدمة الغير.

والحقيقة أن شمسنا قد غربت. فأنا أذكر عندما كنت طفلا، كنت أسمع الناس يتحدثون عن ''الفقراء'' وبعد ذلك بسنوات عندما أصبحت شابا، ظهرت عبارة لها صلة وثيقة بالخط والكتابة هي عبارة ''المهمش'' التي أعادتني إلى عالم الدراسة، إلى الكراس الذي يوجد على يسار صفحاته خط عمودي يجب ألا تتجاوزه الكتابة؛ ذلك هو ''الهامش''. وبالتالي فإن ''المهمش'' موجود خارج النص، في الهامش، لا أهمية له؛ ولكنه مع ذلك حاضر؛ موجود في الكراس.

أما الآن فقد ساء الوضع؛ والعبارة التي تُستخدم لها أيضا مدلول خطي. فقد أصبحنا نتحدث عن ''المستبعد'' هذا الذي لا يوجد حتى على الهامش؛ إنه خارج الكراس، لا ينتمي إلى واقعنا!

إن هذا الأمر غير معقول! فنحن نتقهقر إلى أفظع عصور ظننا أننا تجاوزناها بفضل الحضارة ونحن نتقهقر دون حساب ''التكلفة الاجتماعية'' التي نجمت عنها هذه العودة إلى أشكال من الظلم كنا نتوقع أننا تغلبنا عليها.

وعدد ''المستبعدين'' آخذ في الازدياد وهم يختلفون عن ''الفقراء'' الذين نعرفهم. إن ''المستبعد'' يدرك أنه كذلك، ويود الخروج من ذلك الوضع بأي ثمن. وهو يجازف بكل شيء لأن ليس لديه ما يخسر؛ ولديه وعي باطن بالتاريخ ويعلم أنه في جسم الآخرين ودمهم وذاكرتهم سيكون في نهاية المطاف منتصرا. هؤلاء ''المستبعدون'' الذي كانوا بالأمس

يسمون ''مهاجرين'' كانت تُساء معاملتهم ولكن أطفالهم يشكلون اليوم جزءا من روح ونسيج هذا المجتمع الذي أراد أن يطرحهم جانبا.

و ''مستبعد اليوم'' يشعر أنه من الصعب أن يكون مقبولا. إنه يصل إلى المكان ويمكث فيه. و ''الهجرة هي الاستبعاد المتحرك''، إنها مستبعد أحرق مراكبه ويطلب حقا غير قابل للنقاش ويطالب به وربما استعمل السلاح للحصول عليه. ويُقال أن لا وقت للكلام، والواقع سيعبر عن نفسه.

إنني أدرك جيدا أن علينا التشديد على ''حقوق الإنسان'' ولكن أريد التأكيد أنه قبل هذه الحقوق يجب تلبية ''الاحتياجات الإنسانية''. ويُلفت انتباهي أن جميع المدافعين عن الحقوق، أو على الأقل نسبة كبيرة منهم، ليس لديهم التزام إزاء ظاهرة ملموسة وحقيقية للغاية هي ظاهرة الرجل الذي يقول صراحة ''أنا جائع'' أو المرأة التي تقر بعجزها عن توفير الغذاء لأطفالها وبالذين نقدم لهم الحل في شكل وصفة منقذة هي عبارة ''اعملوا''، دون أن نعلم أن الفقر قضى على العمل.

**العالم الرابع**

لقد وُلد العالم الرابع، يا أصدقائي، وهو عالم أشد إيلاما من العالم الثالث من حيث واقعه. إن العالم الرابع يعبر عن حالة المستبعد في المجتمع الثري. إنه سرطان سيحطم كل شيء إذا لم يُتخذ إجراء فوري.

والحل واضح، إنه يُسمى التنمية وهي تقوم على عاملين هما العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية. ولا جدوى من وجود أحدهما بدون الآخر، فيجب أن يكونا مجتمعين، وهذا الحل لا يتطلب إلا ''التحول صوب ما هو إنساني'' وهذا الأمر كاثوليكي جدا لأن ''الإنسان هو سبيل الكنيسة''.

إن هذه الحكمة لا نتعلمها في الجامعة والأكاديميات الكبرى؛ فقد قال نيكوس كازانتزاكيس إنها تُكتشف عندما تنظر عيون قابيل في تأثر إلى محنة هابيل وضعف حاله ويقرر قتله ... لكن من منطلق حبه له!

**عبر سبل العولمة**

أصدقائي الأعزاء، لقد طلع فجر العولمة بأول حرب لها. وهذه الحرب ستجلب مزيدا من الفقر. وعلينا أن نواصل التأكيد على حقيقة السلام. ففي زماننا يحدث الموت بإرادة البشر وهذا أمر مؤسف. وعلى ذلك، يجب ألا تزعجنا العولمة الاقتصادية والسياسية

إذا تصرفنا بوضوح وشجاعة ووضعنا شرطا مسبقا يغير مجرى الأحداث. هذا الشرط المسبق هو ''عولمة التضامن''.

وإذا لم تحدث هذه العولمة، فإن جميع أشكال العولمة الأخرى ستدمرنا. فالعولمة الاقتصادية بدون عولمة التضامن هي انتحار الفقراء ومن ثمة انتحار أغلبية البشر.

وما زلت أذكر عندما عرض قداسة البابا جون بولس الثاني هذه الفكرة في المجمع الديني لأمريكا؛ لقد كان متبصرا يدرك خفايا الأمور، عندما أثبت للجميع أن العولمة بدون قيم هي عولمة لا قيمة لها.

ولا يمكن أن يظل على أبصارنا غشاء؛ إننا نسير ليس صوب عولمة الأسواق فحسب، التي تعني تركز الثروة؛ وإنما أيضا صوب عولمة الفقر، التي تعني التسليم بأن الأمل قد انقطع بالنسبة للفقراء.

ومنذ بضعة أيام كنت أستمع إلى خاطر مفاده أن ''ما هو خاطئ أخلاقيا لا يمكن أن يكون صحيحا اقتصاديا''.

والحالة الراهنة في العالم ستجعلنا نتخذ القرار إما بتدمير أنفسنا بأنفسنا أو باستعادة سبل الأمل الحق، التي يسطرها الإنجيل ويطبعها بطابعه. وقد قرأت مرة كتابا من منشورات كارلوس لوهلي؛ يروي قصة رجل جعل أساس حياته حب الفقراء. إنه القس بيير الذي أعلن أمام جمهور من النخبة في ''التفاحة الكبيرة'' قوله ''ما جئت ألتمس مالا، وإنما ألتمس أكثر من ذلك بكثير! فالمال يفسد إذا لم يسبقه بذل النفس، بالوقوف إلى جانب من يعانون. إن عمل الخير بدون حب حقيقي للآخرين لا يُنقذ وإنما يحطم''.

وعندما نتأمل العالم يتضح لنا أن أول وأكبر كفاح هو الكفاح ضد الفقر والأنانية واللامبالاة والموالاة. ومن المهم أن يكون مفهوما أن الفقر هو ألد أعداء السلام!

ومن المهم تعزيز العدل وإعمال قانون العدالة الدستورية الذي يخول لمحكمة العدل العليا صلاحية تفسير الدستور.

إن الإنجيل لم يفقد جدواه ويظل مليئا تحديات. فهو يعلمنا أن من المهم أن يولد المرء من جديد في بحر الروح القدس وأن يحب المسيح ويحذو حذوه ويراه في عيون الآخرين يقول يوم الحساب الأخير ''كل ما فعلتموه في حق واحد من هؤلاء الفقراء فقد فعلتموه في حقي''.

لقد جئت هذا الصباح لأقاسمكم فرحة وآمال أسقف كنيسة أصبح مطران أرشيدوقية تيغوسيغالبا، ولأشكر الرب على أنه أناط بي هذه المهمة.

وقد جئت لأقول لكم حقيقة حياتي. يجب ألا نبحث عن الحقيقة حيث لا توجد؛ لنفتح الإنجيل وفيه سنجد أم الحقائق التي قالها المسيح بكل حب ويقين ''لا تنسوا يا أعزائي أنني أنا الطريق والحقيقة والحياة''.

ولكم جزيل الشكر.

أوسكار أندريس رودرغيس مارادياغا
مطران تيغوسيغالبا – هندوراس
٨ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٣